من المرأة .. ؟

المرأة هى النصف الحلو المكمل للرجل ، وهى الجنس اللطيف الذى يبحث عنه الرجل وهو مراهق وهو ناضج ، هى سندريلا أحلامه ، وقيثارة أنغامه ، وقاموس كلماته ، وهى أمه فى الصغر ، وزوجته فى الكبر ، وممرضته فى الشيخوخة ، هى صاحبته التى خلقها الله له ، وخلقه لها .

ما أحوج الرجل إليها ، وما أفقره إلى مثلها .إنها حاضنته ومربيته وأمه التى حملته ،وهى أيضًا أم أولاده ، وطاهية طعامه ، وغاسلة ثيابه وواحة قلبه الخضراء .

هى مخلوق أوجده الله ليأنس به الرجل فى حياته ، ويخفف متاعبه وأوجاعه ، هى عصب الحياة وقوامها، ملهمته فى الشعر وألوانه فى الرسم، وقصته التى لم تنته بعد .

من حسن تربيتها وفضائل أخلاقها تخرج لنا أجيال الرجال والقادة العظماء والمصلحين ، وخير الكائنات الفتيات المؤمنات العفيفات الصالحات .

ومن فساد تربيتها وأخلاقها تخرج لنا الأنذال وأشباه الرجال وعتاة الإجرام والمفسدين اجتماعيا ، وشر الكائنات النساء المنافقات والنكدات .

هى لغز لم يستطع أحد من الرجال أو النساء فك رموزه كلها ، أو كشف النقاب عن وجهه تمامًا .

المرأة ليست نصف المجتمع بل هى المجتمع كله ، بما تملك من مؤثرات قوية وعنيفة تجاه الزوج والأبناء والأمهات والآباء . فوراء كل رجل صالح امرأة صالحة ، ووراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة ، ووراء كل أبناء بررة أم بارة ، من عظمتها وقوتها يأخذ الزوج ويرتشف الابن ويتغذى المجتمع .

يقول الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه (هكذا علمتنى الحياة) : المرأة تجمع صفات الذئب والثعلب والشاة ، فلها من الذئب افتراسها لزوجها المسكين ، ولها من الثعلب مكرها بزوجها الظالم ، ولها من الشاة وداعتها مع زوجها الحازم .

ومن عجيب أمر المرأة أنها أقوى سلطانًا على الرجل وهى أضعف منه وأكثر تجرما به ، وهى أظلم منه وأكثر وفاء له ، وهو أحذر منها وأكثر منها شكوى وهى أهدأ منه بالا ، وألصق بأولادها منه وهم ينسبون إليه .

كل ما يبنيه الأب العاقل فى تربية أولاده فى أعوام تهدمه الأم الجاهلة فى أيام ، زوجاتنا ترهقننا بالكماليات ونحن نرهقهن بالضروريات ، والمشكلة أن ما يراه الرجل كماليات تراه المرأة ضروريا ، وما يراه الرجل ضروريا تراه المرأة كماليا .

الزوجة الجاهلة لا تفهم عنك ، والمتعلمة أكثر منك لا تفهم عنها ، والمساوية لك فى الثقافة أنت تزيد عنها برجولتك وهى تزيد عنك بغرورها ، والرجولة تستوجب التحكم ، والغرور يستلزم التمرد وبين التحكم والتمرد يولد شقاء الأسرة ؛ فمن الخير أن تكون أكثر ثقافة من زوجتك لتفتر حدة الغرور بسلطان العلم .

الزوجة الذكية تحل لك المشاكل والعاقلة تخفف عنك المتاعب ، والجميلة تخلق لك المتاعب والحمقاء تزيد المشاكل .

المرأة التى ترى سعادتها فى صيانة شرفها تعرف كيف تربى أولادا يصونون شرف الأمة . والمرأة التى ترى سعادتها فى إشباع لذائذها تربى أولادا أسهل شىء عليهم أن يخونوا شرف الأمة فى سبيل إشباع أهوائهم ، وشتان بين جيل يصون شرف الأمة وبين جيل يخونه .

وقد تباينت نظرة الرجال إلى المرأة تباينا شديدا بين ممجد لها ومادح ، وبين مسفه لها وقادح .

يقول السيد لطفى المنفلوطى : "نعم إن الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى فى كتابه العزيز ، ولكن المرأة عماد الرجل وملاك أمره وسر حياته من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع ، ولا يستطيع الرجل أن يكون رجلا تام الرجولة حتى يجد إلى جانبه زوجة تبعث فى نفسه روح الشهامة والهيبة ، وتغرس فى قلبه كبرياء المسئولية وعظمتها .. وجملة القول أن الحياة مسرات وأحزان ، أما مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة لأنها مصدرها وينبوعها ، وأما أحزانها فالمرأة هى التى تتولى تحويلها إلى مسرات أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل . فنحن مدينون

للمرأة بحياتنا كلها ، وقد يحنو الرجل على المرأة ويرحمها ولكنها رحمة السيد بالعبد، لا رحمة الصديق بالصديق ، وقد يصفها بالعفة والطهارة وهى يعنى عفة الخدر والخباء لا عفة النفس والضمير ، وقد يهتم الرجل بتعليم المرأة أو بتخريجها وذلك ليعهد إليها بوظيفة المربية أو الخادم أو الممرضة أو ليتخذها ملهاة لنفسه أو نديما لسمره أو مؤنسا لوحشته ، والمرأة لا تريد شيئا من ذلك ، هى تريد أن يحترمها الرجل كإنسانة لها مثل ما له من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات ، هى تريد أن يعاملها الرجل كما يجب أن تعامله المرأة بحب وتقدير واحترام" .

وقال أحد الحكماء : المرأة إما أن تكون مساوية للرجل فى عقله وإدراكه أو أقل منه ، فإذا كانت الأولى فليعاشرها معاشرة الصديق للصديق والنظير للنظير ، وإن كانت الأخرى فليكن شأنه معها شأن المعلم مع تلميذه ، والأب مع ابنته ، أى يعلمها ويدربها ويأخذ بيدها حتى يرفع مستواها وإدراكها إلى المستوى الذى هو فيه أو ما يقرب منه ، ليجدها بعد ذلك الصديق الوفى والعشير الكريم والجليس الصالح ، والمعلم لا يستعبد تلميذه ولا يستذله ، والأب الحكيم والمعلم الكريم لا يحتقر ابنته ولا يزدريها ..

وقال حكيم آخر : إن أرأف شىء على وجه الأرض هو قلب المرأة إذا كان مسكنا للعطف . وإن أعنف رجل وصل بعلمه إلى قمة المجد فاعلم أن بجانبه امرأة يحبها وتحبه .

ويروى عن معاذ بن جبل قوله : إنك قد ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم . وإنى أخاف عليكم من فتنة السراء وهى النساء ، إذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطيق .

وقال الأصمعى : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رءوس الأبطال كابن الأعجمية .

وقال معاوية بن أبى سفيان لأحد جلسائه : أى النساء أشهى إليك ؟ . قال : المواتية لك فيما تهوى .. قال : فأيهن أبغض إليك ، قال : أبعدهن مما ترضى .. قال: هذا النقد عاجل .. فقال : ولكنه بالميزان العادل .

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب

عليك نصف إنسان (يريد غلبته امرأته فاختة بنت قرظة عليه) فقال معاوية : إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

وعن الفارق بين ماهية الحب فى ذهن جيل الأمس وأجيال اليوم نجد هذا الجواب : قيل لأعرابى ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟

قال : نعم كان الحب فى القلب فانتقل إلى المعدة . إن أطعمته شيئا أحبها وإلا فلا .

وعن المرأة يتحدث أحد الشعراء ، والذى وصف نفسه بأنه طبيب بأمراض النساء الخلقية فيقول :

يقول عبدة بين الطيب عن النساء :

إن تسألونى بالنساء فإننى عليم بأدوار النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

يردن ثراء المرء حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وعن أثر اختيار الزوجة على الرجل المؤمن ، يقول عمرو بن الزبير :

ما رفع أحد نفسه ـ بعد الإيمان بالله ـ بمثل منكح صدق ، ولا وضع أحد نفسه ـ بعد الكفر بالله ـ بمثل منكح سوء .

لعن الله فلانة ألفت "وجدت" بنى فلان بيضا طوالا فقلبتهم سودا قصارا .

وعن المرأة تحدث سليمان الحكيم نبى الله فأثنى على امرأتين فقال :

ـ المرأة العاقلة تبنى بيتها والسفيهة تهدمه .

ـ الجمال كاذب ، والحسن مخلف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة .

وعن المرأة تتحدث ثلاث كاتبات راشدات حصيفات فكان مما قلن :

تقول الكاتبة الصحفية **مى شاهين** عن المرأة فى صحيفة أخبار اليوم القاهرية تحت عنوان النساء أنواع :

التغير ظاهرة ملحوظة فى بنات جنسى . كل امرأة تختلف عن الأخرى . صحيح أن الرجال أيضا أشكال وألوان ، ولكن الاختلاف يبدو أكثر فى المرأة بل إن نفس

المرأة قد تبدو كل يوم بمزاج مختلف وشخصية مختلفة وفستان مختلف بالطبع ، وتختم مقالتها بقولها :إن النساء كثيرات ، الجميلة تأسرك بفتنتها ، والزوجة المثالية تبهرك بوفائها والأرملة المرحة تؤنسك بصحبتها ، والمتصابية تبرر حماقتها ، والعاقلة تدهشك بحكمتها . إلا المسترجلة فإنها لا تطاق .

وتقول السيدة **الليدى هارليك** وهى زوجة سفير إنجلترا فى أمريكا وهى كاتبة متخصصة فى المرأة : حقيقة أن أسهل شيء عند المرأة هذه الأيام هى أن تعلن استقلالها وأنها تتساوى مع الرجل فى العمل . أما بالنسبة لمنزلها وعائلتها فهما يحتلان المرتبة الثالثة أو الرابعة وقد أزعجنى جدا وأحرجنى فى نفس الوقت أن أجد بعض النساء يتفاخرن بأنهن لا يجدن الطهى أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل ، وتضيف قائلة : إن المأساة بالنسبة للمرأة أن تتخلى عن واجباتها الحيوية كامرأة . أن تتخلى عن إقامة بيت طيب سعيد ، أن تتخلى عن الطهو والحياكة وإنجاب أولاد ظرفاء . أن تتخلى عن كل مسؤولياتها تجاه الأسرة مقابل أن تعيش كما تشاء . إن المرأة التى تفضل حياة اللهو والاستهتار واللامسئولية والمديح والثناء والجرى وراء الموضة والتفاخر والجهل بأبسط المسئوليات المنزلية تنقص من قدرها وتجعل من نفسها ضحية لتيار اللامسئولية .

وتقول الكاتبة **بنت الشاطئ فى مجلة زهرة الخليج الظبيانية عام ١٩٧٩** :

إن أكثر فتياتنا ينظرن إلى قضية التحرر وكأنها بضاعة غريبة وبعدن عن تقاليد الشرق ، وحسبن أن التحرر هو معيار وتسريحة جميلة وشوال أنيق ومنظر يلفت النظر . لقد غاب عن عنهن جوهر التحرر فأهملن الشخصية الشرقية وفقدن الشعور بالذات .